

النمو الاجتماعي الانفعالي
في ضوء نموذجي إريك إريكسون و بينجهام وستراكير
.¹Socio-emotional Development

النمو الاجتماعي الانفعالي: مقارنة بين الإناث والذكور

تجميع وتنسيق
د. محمد السعيد أبو حلاوة

المكتبة الإلكترونية
أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة
www.gulfkids.com

¹ Huitt, W. (1997). Socio-emotional development. Educational Psychology Interactive. Valdosta, GA: Valdosta State University. Retrieved [date], from <http://chiron.valdosta.edu/whuitt/col/affsys/erikson.html>.

النمو الاجتماعي الانفعالي: مقارنة بين الإناث والذكور

على الرغم من أن إريك إريكسون من أنصار مدرسة التحليل النفسي ومن متابعي سيجموند فرويد على الأقل في الإطار العام لنظريته، إلا أنه اختلف مع معلمه بصورة أساسية في نقطة جوهرية تتعلق بمحركات أو دوافع السلوك الإنساني. فمحركات أو دوافع السلوك الإنساني في تصور فرويد تكمن في البيولوجيا أو بصورة أكثر تحديداً الغرائز البيولوجية المتمثلة في غريزة الحياة وغريزة العدوان. في حين يفيد إريكسون الذي لم يؤهل في مجال علوم البيولوجي أو الطب (على عكس فرويد والكثير من معاصريه) بأن القوى الأكثر أهمية في تحريض أو استثارة السلوك الإنساني ونمو الشخصية تتمثل في التفاعلات الاجتماعية المتبادلة للإنسان في عالم الخبرة الاجتماعية.

وترك إريكسون موطنه الأصلي ألمانيا في العقد الثالث من القرن العشرين مهاجراً إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث درس هناك بالتفصيل التقاليد الأمريكية في النمو الإنساني وواصل مع ذلك عمله كمحلل نفسي أظهر براعة وتميز في مجال علمه. وبدأ منذ ذلك الوقت في صياغة وبلورة نظريته في النمو النفسي الاجتماعي والتي عرفت باسم "نظرية المراحل الثماني لنمو الإنسان إلى أن صكت بشكلها المتعارف عليه الآن سنة 1950 وهي من نظريات النمو النفسي الفريدة لتمييزها بأنها تغطي دورة حياة الإنسان بكاملها ولا تقتصر كما هو الحال في معظم نظريات النمو النفسي المعروفة على مرحلتها الطفولة والمراهقة.

ويفيد إريكسون أن البيئة الاجتماعية التي تحتوي الإنسان مقترنة بالتفاعل مع عمليات النضج البيولوجي تطرح أمام كل فرد مجموعة من "الأزمات Crises² يتعين عليها تجاوزها وحلها بصورة إيجابية لضمان سواء وانتظام مسار نموه النفسي الاجتماعي. إذ يواجه الإنسان خلال مختلف مراحل حياته بفترات حرجة أو حساسة عليه فيها أن يتوصل إلى حل أو تجاوز إيجابي لكل أزمة قبل أن يواجه بأزمة أخرى. وغالباً ما ينقل النجاح أو الإخفاق في حل الأزمة إلى مرحلة الأزمة التالية مما يعقد بطبيعة الحال ويصعب من عملية حل أو تجاوز هذه الأزمة الجديدة بل ويمثل أساس التعامل معها³.

² يمكن تفهم دلالة كلمة " أزمة نمائية " بمقارنتها بمفهوم " مطالب أو مهام النمو " كما عرضت في نظرية مهام النمو لها فجهيرست، ومفهوم "الضغوط" كما طرحها هانز سيلبي ومدرسة دراسة الضغوط والأزمات النفسية وهي وإن كانت أقرب بطبيعة الحال إلى مفهوم مهام أو مطالب النمو إلا أنها تتضمن عناصر من الضغوط التي تستنفذ طاقة الفرد والوسط على مجابته والتوافق معها.
³ لاحظ هنا منطق الحتمية.

نظرية النمو الاجتماعي الانفعالي لإريك إريكسون

المرحلة	العمر	الحل المتوقع للأزمة
أزمة الثقة في مقابل عدم الثقة	المهد	– ينمي الطفل اعتقاداً بأن بيئة التفاعل التي تحتويه تلبى أو تشبع احتياجاته الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية الأساسية.
أزمة الاستقلال الذاتي في مقابل الإحساس بالخزي والشك	ما بين السنة الثانية إلى السنة الثالثة من العمر	يتعلم الطفل ما يستطيع السيطرة عليه والتحكم فيه ، وينمو لديه إحساس بحرية الإرادة، والإحساس بالأسى والحزن حال الاستخدام الخاطئ لضبط الذات أو السيطرة عليها.
أزمة المبادرة في مقابل الإحساس بالذنب	الطفولة المبكرة	يتعلم الطفل المبادرة بالفعل، استكشاف البيئة من حوله، والتخيل إضافة إلى الإحساس بالندم عند ارتكاب أفعال خاطئة
أزمة الإحساس بالكفاءة والإنجاز في مقابل الإحساس بالعجز والقصور أو الدونية	الطفولة المتوسطة/المدرسة الأساسية.	يتعلم الطفل فعل الأشياء بصورة جيدة أو صحيحة مقارنة بمعيار أو آراء الآخرين.
أزمة الإحساس بالهوية في مقابل الإحساس بغموض الدور.	المراهقة	ينمو لديه إحساس بالذات في علاقاته بالآخرين ويتكون لديه أفكاراً ورغبات داخلية (تظهر الأعمال التالية لإريكسون تأكيداً على مرحلتين: غموض الهوية a social identity بالتمركز حول الجماعة التي يتوحد معها الشخص، ثم الهوية الشخصية [الذاتية] Personal Identity التي تتكون من خلال توحد الشخص مع قدراته، أهدافه، آماله، وإمكانياته).
أزمة الإحساس بالألفة والتواد في مقابل الإحساس بالعزلة.	مرحلة الرشد المبكرة	تتطور لدى الشخص القدرة على تلقي وإعطاء الحب (الأخذ والعطاء)؛ يبدأ في تكوين التزامات وتعهدات طوعية في تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين تتميز بالدوام والاستقرار.
أزمة الإحساس بالتدفق والإنتاجية في مقابل الإحساس بالركود	مرحلة الرشد المتوسطة.	ينمو لدى الشخص اهتماماً بتوجيهه وقيادة نمو الجيل التالي [تنشئة الصغار وتربيتهم].
أزمة الإحساس بالتكامل في مقابل الإحساس باليأس والقنوط	مرحلة الرشد المتأخرة.	ينمو لدى الشخص إحساساً عاماً بتقبل الحياة على النحو الذي تم التعايش معها به، والتأكد التام من أهمية الآخرين والعلاقات التي كونها الشخص خلال رحلة حياته السابقة.

ويشير بينجهام وستراكير **Bingham & Stryker** (1995) أن نمو الهوية⁴، التواد، والتكاملية ربما لها أهمية مختلفة لدى كل من الرجال والنساء في مرحلة الرشد. وافترضوا وجود خمسة مراحل للنمو الاجتماعي للنساء تتوازي مع تلك المراحل التي اقترحها إريك إريكسون، لكن مع تأكيد واضح على أهمية الفترات الأكثر حساسية بالنسبة للنمو الاجتماعي الانفعالي لدى النساء. ويوضح الجدول التالي هذه المراحل.

⁴ الهوية Identity – بضم الهاء وكسر الواو وتشديد الياء المفتوحة – كلمة قادمة من عالم الفلسفة والتصوف ، وقد ولدها العرب والمسلمون قديماً من النسبة إلى "هو" أو "الهو" لتؤدي معنى فعل الكينونة في اللغات الهندو أوروبية الذي يربط بين الموضوع والمحمول ، ثم عدلوا، ووضعوا بدلاً من هو "الموجود" ومن الهوية "الوجود"، ومع ذلك فقد فرضت الكلمة نفسها كمصطلح فلسفي يستدل به على كون الشيء هو نفسه. الكلمة إذن لا علاقة لها بالمادة اللغوية "هوى" فهي ليست مشتقة. إن دلالة الكلمة ليست سوى وجه آخر لما يعبر عنه بـ "الحقيقة" أو "الذات" أو "الماهية" ولذلك فإنهم كثيراً ما يعرفون أحد هذه الألفاظ بالآخر .

وقد عرفوا "الهو" بأنه "الغيب الذي لا يصح شهوده للغير ، كغيب الهوية المعبر عنه كنهياً باللاتين، وهو أبطن البواطن"⁴ كما عرفوا "هو" بأنها : كلمة مدلولها العلي غيب الإلهية القائم بكل شيء الذي لا يظهر لشيء ، فذاته غيب أبداً، وظاهره الأسماء المظهرة من علو إحاطة اسم الله إلى تنزل اسم الملك فما بينهما"⁴.

هو أو الهو إذن هي الحقيقة المطلقة، غيب الإلهية ، أبطن البواطن ، حتى "الهوية" نفسها قالوا إن "الأحق بهذا اللفظ من كان وجود ذاته من نفسها، وهو المسمى بواجب الوجود المستلزم للقدم والبقاء"⁴. ثم حدث تطور دلالي، فأصبحت "الهوية" هي الحقيقة أو الماهية أو الذات للشيء، أي شيء. وقد عبروا عنها بأنها "ما به الشيء هو هو"⁴ يريدون أنها ذلك الأمر الذي يجعل شيئاً ما هو لا غيره، ولكن في حال تشخصه. أما في حال تحققه فهو حقيقة وذات. وأما إذا كان أعم من التشخص والتحقق فهو ماهية .

هذه الفروق بين الألفاظ الثلاثة تحدثوا عنها أيضاً على وفق اعتبار الكلية والجزئية فقالوا : الكلي ماهية ، والجزئي هوية. وبعيداً عن هذين الاعتبارين هو حقيقة .

كما قالوا: إن الأمر المتعقل من حيث إنه مقول في جواب "ما هو" : ماهية ، ومن حيث ثبوته في الخارج : حقيقة ، ومن حيث امتيازها عن الأغيار : هوية ، ومن حيث حمل اللوازم عليه : ذات.

ولو تتبنا ما قيل فسند أن الهوية – من المنظور الفلسفي – هي – مع بعض التجاوز – حقيقة الشيء أو ماهيته أو ذاته في حال تشخصها ، أو تحدها ، أو تميزها من غيرها .

ويعرف المتصوفة الهوية بأنها "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"⁴. أما عند علماء النفس فهي "وحدة ذات الشخص في مرحله المختلفة، طفلاً وشاباً وكهلاً وشيخاً"⁴ . وعلماء الاجتماع يرون في "الهوية" ذلك الشيء الذي يشعر الشخص بالاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه، والانتماء إليه . أما علماء الميثافيزيقا (الغيبيات) فالهوية عندهم "جوهر العقل وماهيته". أو أنها والعقل شيء واحد، فهي ماهيته وصورته وقانونه. إنها الضروري مطلقاً في مقابلة المستحيل مطلقاً. ويقترّب علماء المنطق والرياضيات من الأفهام أكثر عندما ينظرون إلى "الهوية". على أنها "علاقة بين شيئين تجعل منهما متساويين ، فهي ما يجعل شيئاً ما متشابهاً تماماً مع شيء آخر"⁴ .

إن ما استعرضناه من إشارات سريعة إلى مفهوم الهوية من وجهات نظر مختلفة، وعبر رؤى متباينة، يدل على أن الهوية مفهوم مطلق يعني الحقيقة والماهية والذات والوحدة والاندماج والانتماء والتساوي والتشابه. ويرى آدمز ومارشال (1996) أن وظائف الهوية تمدنا:

1. بناء لفهم من يكون المرء (البناء أو التركيب).
2. المعنى والوجهة من خلال الالتزام أو التعهد، القيم والأهداف (الأهداف).
3. إحساس بضبط الذات وحرية الإرادة. (الضبط الشخصي أو الذاتي).
4. الاتساق، التماسك، والتوازن بين القيم، الاعتقادات، والالتزامات أو التعهدات. (التناغم/التآلف).
5. القدرة على تعرف وإدراك صيغة احتمالات المستقبل وبدائل الاختيار الممكنة (المستقبل).

للمزيد راجع:

- محمد السعيد أبو حلاوة (2009). الهوية المصرية بين الأصالة والبث الفضائي، ورقة عمل قدمت ضمن فعاليات أنشطة قسم التربية الاجتماعية، إدارة كوم حمادة التعليمية، بمدرسة كوم حمادة الثانوية (بنات)، الأربعاء، الموافق 2009/2/25. تطلب الورقة من المعد.

مراحل النمو الاجتماعي الانفعالي لدى الإناث		
المرحلة	العمر	الحل المتوقع
تنمية شخصية صلبة (الصلابة النفسية ⁵) Hardy Personality	إلى سن الثامنة من العمر	الإحساس بالسيطرة على الحياة الشخصية، الالتزام والتعهد الذاتي بأنشطة معينة، السعي للتحدي والبحث عن فرص التطور والنمو.
تشكيل هوية مُجَزَّة (كمنجز أو مؤثر في الحياة) Forming an Identity as an Achiever	من سن التاسعة إلى سن الثانية عشر من العمر	تطوير بؤرة ذات راسخة ودائمة كشخص قادر على الإنجاز في مجالات متنوعة (عقلية، بدنية، اجتماعية، ومهنية).
بناء مهارات من أجل تقدير الذات Skill Building for Self-Esteem	من سن الثالثة عشر إلى سن السادسة عشر من العمر	الإحساس بالقيمة والجدارة الشخصية، واستحقاق تأكيد الاحتياجات والرغبات؛ الثقة في القدرة على التوافق (التعايش) مع الحياة ومواجهة مصاعبها.

⁵ تتعدد تعريفات الصلابة النفسية إلا أنها لا تخرج عن المضامين العامة لتعريف سوزان كويتلي كوبازا والذي ينص على أن الصلابة النفسية: " "اعتقاد عام للفرد في فاعليته وقدرته على استخدام كل المصادر النفسية والاجتماعية المتاحة كي يدرك ويفسر ويواجه بفاعلية أحداث الحياة الضاغطة." ونشأ الاهتمام بدراسة عامل الصلابة النفسية في مجال الطب، منذ أن صاغته سوزان كوبازا في أوائل العقد السابع من القرن العشرين، لتعرف وتحديد أبعاد العلاقة بين الصحة والضغط. وتكشف نتائج دراسات كوبازا (1979 أ، 1979 ب) عن أن الأفراد الذين يتعرضون أو يخبرون مستويات مرتفعة من الضغوط، ولا تتأثر حالتهم الصحة بالسلب هم أشخاص مختلفون في تركيبية شخصيتهم مقارنة بالأفراد الذين يتعرضون أو يخبرون ضغوطاً نفسية يقعون بسببها في براثن المرض البدني أو النفسي أو كليهما (Kobasa,1979a,1979b).⁵ والمحور الرئيسي لتركيبية أو لبنية هذه الشخصية هو خاصية " الصلابة Hardiness " بالمعنى المشار إليه.

وتبع ذلك، استمراراً في تطبيق واستخدام هذا المصطلح من قبل علماء نظريات الإدارة وذلك في بحوثهم التي هدفت إلى تعرف وفحص الروابط أو العلاقات بين الضغوط والصحة (Low,1996)، وعلى الرغم من استمرار استخدام هذا المصطلح في سياقات الطب والمرض، بدء الباحثون في صياغة أطر أو نماذج نظرية تعتبر الصلابة النفسية بمقتضاها عامل تنمية أو ترقية صحية عامة، يمكن الأفراد من الحفاظ على أو الإبقاء على صحتهم النفسية والبدنية بالرغم من تعرضهم لمواقف أو خبرات ضاغطة، وبالتالي اعتباره من أهم المتغيرات التي تكمن احتفاظ الأشخاص بصحتهم الجسمية والنفسية رغم تعرضهم للضغط. وتقاس الصلابة النفسية في الوقت الحالي بمقاييس ترصده على ثلاث أبعاد: التحكم، الالتزام أو التعهد، والتحدي.⁵

وبالتالي الصلابة النفسية هي "امتلاك الفرد لمجموعة سمات تساعده على مواجهة مصادر الضغوط" وهناك سمات للذين يتمتعون بالصلابة النفسية وهي :

(1) درجة عالية من التعهد أو الالتزام أثناء تأدية المهام المطلوبة بما يتضمنه من مكونات فرعية تتمثل في: الخبرات الهادفة ذات المعنى، العلاقات الدافئة المساندة، الأنشطة المسهمة، والمهارات الاجتماعية .
(2) درجة عالية من التحدي خاصة التحدي، باعتباره يوفر فرصاً كثيرة لتنمية وتعزيز القدرة على المجابهة أو التأقلم والتوافق مع الضغوط والمنغصات.

(3) درجة عالية من التحكم في الأمور الوظيفية والحياتية، كما يتمثل فيما يعرف بمركز أو وجهة التحكم الداخلي والذي يبنى على أسلوب العزو التفاؤلي بمتضمناته الفرعية والتي تتمثل في: خبرات التمكّن، مشاعر الإيجابية، أسلوب الوصف والتفسير الوالدي (Kobasa,1979a,1979b).

وجدير بالإشارة أن محافظة الإنسان على تماسكه وتوازنه النفسي عند التعرض لمواقف ضاغطة أمراً أساسياً للأداء النفسي الوظيفي الفعال. والصلابة النفسية Psychological hardiness (سمة شخصية تتكون من: الالتزام/التعهد، التحكم/الضبط، والتحدي/المثابرة) من بين أهم المؤشرات الدالة على الصحة النفسية من وجهة نظر أنصار النظرية الوجودية في الشخصية existential personality theory. للمزيد راجع:

- محمد السعيد أبو حلاوة (قيد النشر). المرونة النفسية العامة: المرونة النفسية العامة: تعريفها، أبعادها، وبرامج تنميتها، الإصدار الرابع، من إصدارات سلسلة علم النفس الإيجابي.

- عماد محمد مخيمر (1997). الصلابة النفسية والمساندة الاجتماعية كمتغيرات وسيطة في العلاقة بين ضغوط الحياة وأعراض الاكتئاب لدى الشباب الجامعي. المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد السابع عشر 1997، تصدرها الجمعية المصرية لعلم النفس.

الإحساس بالمسئولية عن رعاية النفس والاعتماد عليها، وربما رعاية الأسرة؛ تأسيساً على إحساسية بالاستقلالية.	من سن السابعة عشر إلى سن الثانية والعشرين من العمر	استراتيجيات الكفاية الذاتية (رأس المال الانفعالي - المالي) Strategies for Self-Sufficiency (Emotional-Financial)
الرضا عن الإنجازات الشخصية والعلاقات الاجتماعية/الشخصية.	الرشد	Satisfaction in Work and Love الرضا عن العمل والحب

ووضعت سوازن كويليتي كوبازا (1979أ ، 1979ب) أسس نمو الشخصية الصلبة نفسياً، بوصفها دالة لمركب يتضمن ثلاث أبعاد أساسية هي: السيطرة/التحكم، التعهد/الالتزام، والتحدى، وهي أبعاد يمكن تنمية من خلال اكتساب ثمان مهارات نوعية هي:

- إدراك وتحمل القلق، والتصرف بطريقة بناءة بناء على ذلك.
- التمييز بين الخيال والواقع، والتعامل الإيجابي مع الواقع.
- وضع أهداف شخصية وتأسيس الأولويات.
- التطلع إلى المستقبل وفهم كيف تؤثر البدائل والاختيارات المتاحة في الوقت الراهن على المستقبل.
- التمييز بين البدائل المتاحة والاختيار منها ما يتناسب مع الأهداف والقيم.
- وضع حدود وضوابط للتصرفات أو الأفعال.
- التحديد الدقيق للرغبات والحاجات والدفاع عنها بصورة توكيدية إيجابية.
- الثقة في الذات والإدراكات الشخصية.

ويبدو أن طرح سوازن كوبازا يتشابه بصورة شديدة مع نواتج الحل السوي لأزمات النمو الثلاث الأولى في مخطط إريك إريكسون. والأمر المختلف بين الطرفين أن هذه ليست النواتج المرغوبة للإناث في مرحلة المهد ومرحلة الطفولة المبكرة؛ لأن نمط التنشئة الاجتماعية للإناث يبدو أكثر تركيزاً على عنصري: الوداعة والاعتمادية، مما يضر أو يعوق بشكل أو بآخر النمو الاجتماعي الانفعالي في المراحل التالية. وحرى بالتنويه، التأكيد على التشابه بين نموذجي إريك إريكسون وبنجهام ستاكير في تشكيل أو تكوين الهوية وعلى وجه التحديد الهوية كشخص مُجزء، إلا أن الفرق بين الإناث والذكور يتمثل في مدى أهمية حالة الهوية المنجزة بالنسبة لكليهما.

فمع وصول الإناث إلى مرحلة البلوغ، يتحول انتباههم بشكل تلقائي وطبيعي نحو العلاقات بطرق ربما تكون مختلفة عن تلك الطرق التي ينتهجها الذكور. فالى مدى بعيد إذا لم تتمكن الإناث من تطوير إحساس بالإنجاز أو على الأقل القدرة على الإنجاز بنجاح أثناء مرحلتها الطفولة المتوسطة والمتأخرة، ربما يفضى ذلك إلى تأخر تكوين هذا الإحساس لعقد أو أكثر قبل أن تتوافر لديهم الفرصة لتأسيسه. على الجانب الآخر، بالنسبة للذكور، غالباً ما يتوافر أمامهم أكثر من فرصة للتغلب على أي نقص أو قصور في الإحساس بالإنجاز في سياق مراحل تشكيل الهوية **identity formation** حسب طوبوغرافية إريك إريكسون لتتالي مراحل النمو النفسي الاجتماعي ذات الثمانية مراحل.

كما أن أهمية **تقدير الذات self-esteem**⁶ بالنسبة للإناث في سنوات المراهقة لا يمكن المبالغة في التأكيد عليه. وتظهر نتائج دراسة مسحية أجرتها الجمعية الأمريكية لجامعة النساء (1991) **the American**

⁶ على الرغم من الوفرة الهائلة في النظريات، البحوث، التعليقات، والمراجعات الخاصة بمصطلح: " مفهوم الذات Self-Concept " منذ أن ابتكره وليام جيمس من أكثر من مئة سنة مضت، مازال هذا المفهوم وتجلياته أو مؤشرات غامضاً ومروغاً في الكثير من جوانبه. ويشير هارتر (1983) إلى أن مفهوم الذات غالباً ما يوصف باستخدام الكثير من المفاهيم الأخرى المرتبطة به مثل: جدارة الذات **self-worth** ، تقدير الذات **self-esteem** ، تأكيد الذات **self-assurance** ، اعتبار أو احترام الذات **self-regard** (Harter,1983).

Association of University Women، حدوث تدهور حاد في تقدير الذات لدى الإناث خلال سنوات التعليم الأساسي والثانوي (المرحلة العليا)، وعلى الرغم من حدوث نفس الظاهرة لدى الذكور في هذه السنوات إلا التدهور في تقدير الذات لا يمثل خطورة تذكر على تكوينهم النفسي العام.

ويبرز الفرق الرئيسي بين نموذجي تشكيل الهوية في تصور إريكسون وفي تصور بنجهام ستراكير في مرحلة الرشد المبكرة. فوفقاً لنموذج إريكسون، فإن الأزمة في مرحلة الرشد المبكرة تتمثل في الإحساس بالألفة والتواد في مقابل الإحساس بالعزلة، في حين أن هذه الأزمة وفقاً لنموذج ستراكير تتمثل في الكفاية الذاتية الانفعالية والمالية **emotional and financial self-sufficiency**، ويقع الفرق هنا فيما يعرف بتوقعات الدور الخاصة بالنوع **gender expectations** (ذكر/أنثى)، إذ يتوقع أن يكون الأولاد أكثر كفاية ذاتية وأكثر اعتماداً واستقلالاً؛ والأزمة المتوقعة أن يواجهوها هي تأسيس أو إقامة علاقة ألفة وتواد مع الآخرين. أما التوقع الخاص بالإناث في هذه المرحلة فيتمثل في تأسيس علاقات خاصة بعملية الذاتية والاعتماد على الذات فيما يخص رعاية الذات انفعالياً ومالياً.

ومع تزايد تأكيد المجتمع المعاصر على فكرة الاعتماد على الذات مالياً بالنسبة للرجال والنساء، والتحول من المجتمع الزراعي/والصناعي الذي كان سائداً في القرن العشرين، إلى مجتمع اقتصاد المعرفة/الخدمة في القرن الواحد والعشرين برزت الحاجة إلى تعلم واكتساب مجموعة جديدة من المهارات، من أهمها بالنسبة للذكور والإناث على حد سواء الحاجة إلى إدارة المصادر الشخصية خاصة الشؤون المالية، إضافة إلى تعلم واكتساب مهارات اجتماعية وانفعالية تسمح للمرء بالعمل في جماعات، ومهارات التأقلم والتوافق مع حركة التغيير السريع.

ويعرف كل من بيدنار، وويليس، وبييتيرسون (1989) تقدير الذات بأنه: "استحسان المرء لنفسه ذاتياً وواقعياً". وأشاروا أيضاً إلى أن تقدير الذات يعكس كيف ينظر المرء إلى ذاته، وكيف يقدر أو يحترم ذاته عند معظم مستويات الخبرة النفسية في إطار أبعاد الذات المختلفة والتي تُخلق أو تُنشئ بروفيلاً لانفعالات ترتبط بمختلف الأدوار التي يؤديها الشخص في الحياة.. وتقدير الذات بناء على ذلك: إحساس وجداني ثابت نسبياً بالقيمة والجدارة الشخصية يفترض أن يؤسس على إدراكات دقيقة وواقعية للذات. وتشير زينب محمود شقير (1993، ص:) إلى أن تقدير الذات هو: "التقويم الذي يضعه الفرد لذاته لكل من الصفات الحسنة والصفات السيئة لديه في حياته". في حين يعرفه جمال مختار حمزة (2000، ص: 177) بأنه: "التقويم الذي يؤمن به الفرد لذاته ويعمل على الحفاظ عليه، ويشمل وجهة نظرة عن ذاته إيجابياً أو سلبياً، فهو بمثابة المرأة لحكم الفرد على مدى كفاءته الشخصية واتجاهاته نحو نفسه ومعتقداته عنها".

ووفقاً لهذا التعريف، فإن تدني أو انخفاض تقدير الذات يتميز ببطورة الانفعالات السلبية المقترنة بالتقييمات السلبية للأدوار التي يؤديها الشخص في الحياة، أو بتدني أو انخفاض إحساس المرء بقيمته أو جدارته الشخصية أو الإدراكات غير الواقعية أو المختلفة للذات (4, Bednar, Wells., & Peterson, 1989).

وقد أورد بيدنار، وويليس، وبييتيرسون (1989) أمثلة متناقضة لأفراد ذوي إنجازات فائقة ومع ذلك يظهرون مشاعر عميقة لانخفاض أو تدني تقدير الذات. وأفادوا بأن أي نظرية لتقدير الذات يجب أن تأخذ في حساباتها أهمية دور تحدث المرء مع ذاته، وأفكاره عن ذاته إضافة إلى التقدير المدرك للآخرين (11, Bednar, Wells., & Peterson, 1989). وانتهوا إلى أن: "مستويات تقدير الذات المرتفعة أو المنخفضة"، نتيجة وانعكاس للتغذية الراجعة الداخلية الوجدانية التي يخبرها الشخص معظم الوقت" (14, Bednar, Wells., & Peterson, 1989). وقد أشاروا إلى نقطة بالغة الأهمية مفادها أنه يتعين على الأفراد في ظروف معينة خبرة أو المعاناة من بعض التغذية الراجعة السلبية من بيئتهم الاجتماعية، بعضها على الأرجح صحيحاً أو صادقاً. وعليه من الأبعاد بالغة الأهمية في نمو وتعديل أو صيانة تقدير الذات كيفية توافق الأفراد مع هذه التغذية الراجعة السلبية.

ويفيد بيدنار وآخرون (1989) أيضاً أن معظم الأفراد يتجنبون التغذية الراجعة السلبية بدلاً من التأقلم أو التوافق الإيجابي معها، وكما يسعون إلى بذل مجهود ضخم للحصول على تقدير واستحسان الآخرين عن طريق ما يعرف بإدارة الانطباعات، بمعنى آخر التظاهر بما يعتقد أنه مقبول من الآخرين. وإذا تجاوب الأفراد مع التغذية الراجعة السلبية بالاندفاع نحو إدارة الانطباعات التي يريدون من الآخرين تكوينها عنهم للحصول على تقدير واستحسان الآخرين لهم، فإنهم ودون قصد يقطعون مسار التغذية الراجعة المفيدة التي يمكن أن ينقلها الآخرين لهم، وللأسف غالباً ما يلجأون إلى التزييف والإدعاء المفضوح أو المكشوف مما يترتب عليه نتائج عكسية تتمثل في اعتقاد الآخرين بأن مثل هذه النوعية من الأفراد لا يستحقون الاحترام أو التقدير، وبالتالي التعبير عن هذا الاعتقاد بتغذية مرتدة سلبية ترسخ في نفوس هؤلاء الأفراد مع استمرارها أو تكرارها الإحساس بالضعف النفسي.

وانشغال المرء الزائد بذاته وإدارة انطباعات الآخرين يجعل سلوكه يتضمن الكثير من مكونات أو ملامح تعريف النرجسية والافتتان بالذات (13, Bednar, Wells., & Peterson, 1989).

- للمزيد راجع:

* محمد السعيد أبو حلوة (قيد النشر). التمييز بين تقدير الذات والنرجسية أو الافتتان بالذات: تطبيقات عملية، ضمن سلسلة علم النفس الإيجابي، الإصدار رقم (7)، يُطلب من المعد.

وتحل أزمة مرحلة الرشد والتي تسمى أزمة الإحساس بالتدفق والإنتاجية في مقبل الإحساس بالركود وفقاً لنموذج إريكسون من خلال الإنتاجية والإنجازات الشخصية وتكوين هوية الأنا **ego identity**⁷، بينما تحل هذه الأزمة حسب نموذج بنجهام وستراكير من خلال مدى رضا المرء عن حياته السابقة بناء على إنجازاته في مجالي العمل والعلاقات.

وأعتقد أن كوفي، ميريل، وميريل **Covey, Merrill & Merrill** (1994) أفضل من عبروا عن القضايا الرئيسية لمرحلة الرشد من خلال قائمة تتضمن: أن تُحب، وتُحَب، أن تتعلم، أن تترك ميراثاً. ويعبر ذلك عن القضايا الخاصة بالتواد والألفة (أن تحب)، والإنتاجية والإنجاز (أن تترك ميراثاً)، حسب نموذج إريكسون، إضافة إلى القضايا الخاصة بالحياة (الانفعالية، المالية)، والتعلم (الإنجاز في عالم العمل) حسب نموذج بنجهام وستراكير.

⁷ منذ بداية المراهقة تبدأ مرحلة جديدة من مراحل نمو الشخصية- وكما هو معروف فإن مرحلة المراهقة مرحلة حيرة و ثورة بالنسبة لمعظم الأفراد، فيها توضع الأمور التي أيقن بها الفرد موضع تساؤل و شك، ولا يمكن أن يعتمد النشء على كثير من الأمور التي سبق لهم أن اعتمدوا عليها (جابر عبد الحميد جابر 1969، 1979).

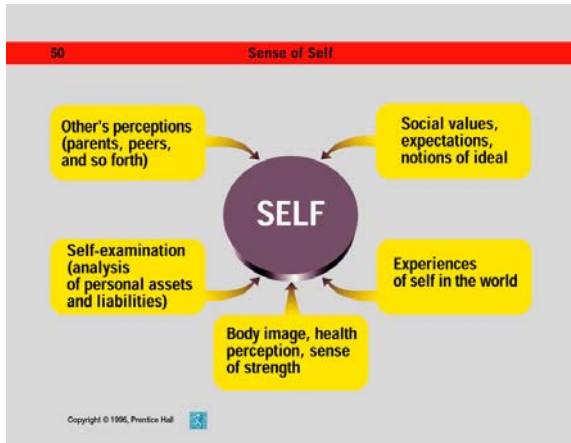
وفي المراهقة المتأخرة يواجه الفرد مهام الراشدين مثل البحث عن وظيفة، والتخطيط للزواج، و المواطنة، واتخاذ قرار ذي معنى في الحياة، ويصبح من الواجب عليه أن ينتج و يعطي بدلا من أن يأخذ فقط كما كان من قبل، وتكون المشكلة المركزية لديه هو تحديد من هو وما دوره في المجتمع؟ هل هو طفل أم راشد؟ هل لديه ما يمكنه من أن يكون إنسانا له قيمة كزوج وأب؟ وماذا لديه من قدرات ومكونات شخصية تتيح له أن يكون عاملا وكاسبا للنقود... الخ.

وينشغل الشباب انشغالا بالغا بسبب مثل هذه التساؤلات، كما ينشغلون بالتوفيق بين ما تعلموه من أدوار ومهارات في المراحل السابقة وما هو مقبول اجتماعيا الآن من أدوار ومهارات... ولقد أطلق إريك إريكسون **E. Erikson** (1968) على هذا النوع من الانشغالات "أزمة الهوية" **Identity Crisis** لأن اكتساب الإحساس بالهوية ضروري لاتخاذ قرارات الكبار، وهذا يتوقف على أن يصبح الفرد جزءا محسوسا يمكن الاعتماد عليه (Erikson 1968) (حسن مصطفى عبد المعطي، 1993) ⁷.

هذا ويعد الالتحاق بالجامعة مرحلة تحول هامة في حياة كثير من المراهقين، حيث تمثل سنوات الدراسة الجامعية فترة نمو نفسي اجتماعي هامة، يسهم المناخ الجامعي السائد فيها بدور هام في نمو الهوية (Munro&Adams,1977).

ويعرف جيمس مارشيا الهوية: "بأنها تنظيم داخلي معين للحاجات والدوافع والقدرات والمعتقدات والإدراكات الذاتية بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي السياسي للفرد" (نقلاً عن، محمد السيد عبد الرحمن، 1998، ص:400). وربما يتعد هذا التعريف وغيره من التعاريف الأخرى التي نسجت على منواله في ظل الافتتان بالصياغة الإجرائية لنموذج الهوية لدى مارشيا كثيراً في واقع الأمر عن مفهوم الهوية فيما نرى خاصة هوية أنا الموهوب والتي تتشكل على أرضية من الخصائص النفسية والسلوكية شديدة التميز تجعل الموهوب المراهق فيما نظن يعيش حالة وجودية خاصة ذات ملامح مأزومة في عالم مجتمع ينفر من التغيرات ويعادي التجدد والانطلاق.

وبالتالي قد يكون التعريف الإجرائي الذي قدمه محمد السيد عبد الرحمن (1998، ص:400) والذي مفاده أن: " أن الهوية مقدار ما يحققه الفرد من الوعي بالذات والتفرد والاستقلالية، وأنه كيان متميز عن الآخرين، وما يحققه من الإحساس بالتكامل الداخلي والتماثل والاستمرارية عبر الزمن والتمسك بالمثاليات والقيم"



ويوضح الشكل التالي الأبعاد الداخلة في تكوين الإحساس بالذات "تكوين الذات"

References

- American Association of University Women. (1991). Shortchanging girls, shortchanging America. Washington, DC: [AAUW](#).
- Bingham, M., & Stryker, S. (1995). Things will be different for my daughter: A practical guide to building her self-esteem and self-reliance. New York: Penguin Books.
- Borysenko, J. (1997). A woman's book of life : The biology, psychology, and spirituality of the feminine life cycle. New York: Putnam Publishing Group.
- Covey, S., Merrill, A. R., & Merrill, R. (1994). First Things First: To live, to love, to learn, to leave a legacy. New York: Simon & Schuster. [see <http://www.amazon.com/exec/obidos/ISBN=0684802031/7745-3899696-849824>]
- Dale, M. (1995). Body and self : An exploration of early female development. New York: Jason Aronson.
- Erikson, E. (1950). Childhood and society. New York: Norton.
- Huitt, W. (1997). Recommended books related to the growth, development, and socialization of girls and women. Valdosta, GA: Valdosta State University. Retrieved October 1997, from <http://chiron.valdosta.edu/whuitt/files/womendv.html>